الإدمان كعرض جديد:
دراسة فى البنية الإكلينكية
للذات المدمنة عند جاك لاكان*

د. وفاء مسعود محمد الحدينى**

* تاريخ الاستلام: ٢٠١٢/٧/١٣م، تاريخ القبول: ٢٠١٣/١/١م.
** استاذ مساعد/ قسم علم النفس/ كلية الآداب/ جامعة حلوان/ مصر.

ملخص:

إذا كانت الذات عند لاكان لا بد أن تتموضع وتتخذ بنية إكلينيكية ما فى مواجهة نقص الرغبة ومتعة الآخر، فإنه فى الإدمان يُسقط الدال الأبوى، وتصبح الذات هى الجسم فى إسكيما المرايا (O–Ó)، ومن ثم فإن الذات المدمنة تُدير المتعة فى علاقتها (التى هى محاولة للتفادي) بالآخر من خلال ميكانيزم الإبدال، حيث يُتخذ العقار مكان الوكيل (الوسيط) الذى يحجب استحضار الذات لدال آخر، وذلك بأن يمتص الدال الرئيس (a– s1) فى محاولته لوضع الموضوع (العقار) ومثالية الأنا فى المكان نفسه، كما يخفي الإحساس بالقدرة المطلقة – الناتج عن التخدير– العلاقة بالاستحالة (أو نقص الرغبة)، تاركاً الذات فى وهم إمكانية تحقيق الهارمونية الكاملة بين هذا الوسيط والآخر، وميكانيزم الاستقلال عن الآخر الأكبر الذى يشير إلى اقتحام الرباط الاجتماعى وفصل الذات عنه، مما يؤدى إلى نبذ الذات نتيجة الاعتمادية على قانون الأم الذى يغمر الذات بالسموم عندما لا يُرمز شىء متعلق بالجسم، وهذا ما يُعطى للإدمان خصوصيته السيكوباثولوجية. وبذلك يُعد الإدمان بما هو عرض جديد مجرد اغتراب فى البُعد النرجسى الذى يُشار إليه بكسر الرابطة مع الرمزي.

Abstract:

If the subject in Lacan should have a position – clinical structure – facing the lack of desire and other's jouissance, it is through addiction that the paternal metaphor can be foreclosed and the subject becomes the body in the mirror schema (˘– o) and hence the addicted subject manages jouissance in its relation (which is an attempt to avoid) with the other through: the substitution mechanism where the drug takes the place of the agent (the mediator) which bars the subject's representation of another signifier by absorbing the master signifier (a – s1) in an attempt to place the drug and the ego-ideal in the same place. The omnipotent sense resulting from the toximea also hides the impossibility relation (or lack of desire) leaving the subject in the illusion of the possibility of achieving full harmony between this agent and the other, on the one hand, and the mechanism of independence of the big Other which refers to the break of the social bond and the separation of the subject which leads to the rejection of the subject as a result of the dependence on the law of the mother which immerses the subject with toxics when nothing that is related to the body is symbolized. This gives addiction its psychopathological privacy. Hence where addiction is considered as a new symptom it is, in fact, an alienation in the narcissistic dimension which is referred to by the break with the symbolic.

مقدمة:

قدم لاكان مفهوم الذات لكى يُجدد المفهوم الفرويدى عن اللا شعور، كما توسع فى هذا المفهوم لكى يوضح طبيعة الأسباب التى تكمن فيما وراء مجال معين فى الأنا الشعورى، والتى تحدد القصة الرمزية لوجود الباثولوجى المتعلق بأى فرد. (Terminio Nicolo، 2004)

كذلك أشار لاكان إلى أن الذات هى وجود مُستحضر Being Represent وهى افتراضية بالضرورة، فهي العامل الذى بسببه لا نشعر بأنفسنا تماماً رغم أنه بداخلنا ، والغريب أننا نحتاج لبُعد الاستحضار – أي نحتاج المتخيل والرمزى – لكى نفصل أنفسنا عن أنفسنا، وإذا لم يحدث هذا فإننا نخبر الشيوع العميق لغرائبية الذهان مثل لحظة اختلال الإنية التى تحدث للقريبين من الموت، ومن ثم تتموضع الذات خارجياً أو بين الدوال والكلمات. (Rik Loose، 2000، p.79)

إنها باختصار بنية الكوجيتو [1] الذي أسماه لاكان "كوجيتو الفراغ" مشيراً إلى أنه، ليس فقط كوجيتو الشعور الذى يبدو لنفسه فقط فى الاختفاء، لكنه كوجيتو الاختفاء والحضور معاً، ودائماً وأبداً يُعرف فى مصطلحات الاستحضار الأتوماتيكى Auto– representation وذلك لأنه ليس كوجيتو أعمى لشخص منوم أو حالم، لكنه الكوجيتو الذى لا يستحضر اللا شعور، إنه المشهد الآخر Other scene. (Jacobsen، Mikkel Broch، 1994، p. 91)

ويعدّ العرض فى العمل اللاكانى بمثابة مجاز ومتعة، أنه موجود فى الأحلام، والفكاهة، وزلات اللسان الفرويدية، لكنه يختلف معها فى أن العرض ذات مكانة زمانية مختلفة، وذلك لأنه يُعيد إظهار نفسه مع الخصائص التكرارية للذات، ؛(Rowan Alan، 2000، p. 96) أي يستحضر للذات تثبيتها على المتعة. ولقد عرف لاكان المتعة – Joui sance بأنها سبب التكرار، فالمتعة ليست هى اللذة، لكنها مجرد التعبير عن الإشباع فى اللالذة displeasure وهذا هو التناقض فى الذات، وتلك هى القضية التى حاول فرويد حلها فى مفاهيمة النظرية عن دوافع الموت . وتتحدد أهمية دراسة الإدمان من منظور التحليل النفسى اللاكانى فى أنه:

١. يعد ملخصاً epitome أو مجملاً للعرض بالمعنى التحليلى النفسى، فهو حل، وهو فى

١ * لقد أعاد لاكان النظر فى الكوجيتو الديكارتى "أنا أفكر إذا أنا موجود" بتركيزه على العامل اللغوى قائلاً: أنا أفكر حيثما لا أوجد ومن ثم فأنا موجود حيثما لا أفكر.

الوقت نفسه لاحل لهذا الحل بمعنى أنه سبب ونتيجة فى الوقت نفسه، فسبب الإدمان هو تاثير العقار وسبب التأثير المسبب فى النهاية للإدمان يتموضع فى الذات، وبذلك تمثل الذات لهذا الشيء الذى ينضغط squeezed بين السبب والتأثير فى دينامية العقار.

٢. إن سبب الإدمان غير معروف مسبقاً ويتمفصل هذا السبب فقط عبر الذات فلكي نستطيع أن نعرف شيئاً ما عن كيفية تاثير العقار المسبب للإدمان، يجب أن نستمع إلى كيف تتكلم الذات عن عقاقيرها التى تتعاطاها؟ وكيف تؤثر عليها؟ مما يعنى أنه لا يوجد سبب للتاثير ولا تاثير للسبب فى الإدمان، بل يوجد الاثنان معاً وشيئ آخر هو الذات أو البنية الذاتية.

٣. يجسد الإدمان وجود العرض بتجسيدة ما وراء مبدأ اللذة، هذا الماوراء الذى يحوى داخله العرض الذى تتعلق به الذات بشكل أساس ويحدد مكانتها، من هنا أخطأ رادو عندما قسم المواد المسببة للتاثير النفسى إلى مواد تقدم اللذة ومواد تزيل الألم، إذ يعتمد هذا التقسيم على مبدأ اللذة، ويتجاهل ما وراء مبدأ اللذة، وذلك لأن محاولة فهم السبب فقط يجعل التأثير يهرب ومحاولة فهم التأثير فقط يجعل السبب يهرب ومن ثم يكون المخرج الوحيد من هذا المازق هو عمل روابط مفقودة عبر التحدث عن التأثير كسبب أي أن نقول إن السبب النهائى للتاثير هو الذات لأنها هى فقط القادرة على ان تمفصل شيئاً عن عرض الإدمان لأنها سبب تاثير العقار، ولأن لها علاقة بكل من المتعة واللغة. ومن هنا أشار Loose فى مقالته "السبب هو التأثير" إلى دلالة البنية الذاتية فى دراسة الإدمان إذ تعدُّ دراسة الإدمان بشكل مستقل عن الذات التى تتحدث عنه بمثابة خطا منهجى باعتبارها تمثل الرابطة المفقودة missing link فى قصة الإدمان كلها .(Rik Loose، 2000، p.78–79).

من هنا تحددت أهمية الدراسة فيما يأتى:

أولاً– لا توجد دراسات عربية سابقة – فى حدود علم الباحثة – اهتمت بدراسة الذات فى الممارسات الإكلينكية المعاصرة.

ثانياً– عرض النموذج اللاكانى فى الذات، والذى تفتقر إليه الدراسات العربية.

ثالثاً– طرح فكرة أو قضية العرض الجديد التى تأخذ فى اعتبارها الأبعاد الاجتماعية التاريخية من المنظور اللاكانى.

تساؤلات الدراسة:

١. ما التغيير فى الصياغة السيكوباثولوجية للإدمان؟
٢. ما البنية الإكلينكية للذات المدمنة، ويشتمل هذا التساؤل على سؤالين فرعيين هما:
- ما مفهوم البنية الإكلينكية أو ما الذى على الإكلينكى أن يسأله فى التعامل مع الإدمان؟
- ما البنية الإكلينكية للذات المدمنة؟

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من عدد (٤) من المتعافين روعي فى اختيارهم ما يأتى:

١. المدى العمرى من ٢٥–٤٠ عاماً.
٢. مستوى تعليم جامعى.
٣. تباعد فترات التعافى لدى أفراد العينة، والتى تراوحت من ثلاث شهور تعافى فى الحالة الأولى إلى أربع سنوات فى الحالة الرابعة، وذلك لإمكانية توضيح موضعة الذات مع العرض فى كل مرحلة من مراحل التعافى.
٤. لم تُختر العينة وفقاً لمادة تعاطى معينة – وذلك اتفاقاً مع Loose فى أنه ليس المهم مادة التعاطى، ولكن المهم العرض الإدمانى، لذا كانت الحالة (١،٤) تتعاطى مادة الترامادول والحالة (٢،٣) تتعاطى الهيروين.

أدوات الدراسة:

١ـ نموذج المقابلة لبيرنو Burnout:

اعتماداً على الإسكيما اللاكانية للمرايا اهتم هذا النموذج بدراسة الحكىَ عن الخبرة (الإدمان) وذلك باستخدام التمييز اللاكانى بين الفاعلية العقلية للأنا، الأنا المثالية (التوحدات المتخيلة)، مثالية الأنا (التوحدات الرمزية) والأنا الأعلى، واعتماداً على هذه المفاهيم الدينامية وضع بيرنو نموذجه الذى يشتمل على ثلاثة مفاهيم وما يرتبط بها من أنماط الحكىَ كما يأتى:

العمليات الدينامية وأنماط الحكى المرتبطة بها لدى بيرنو

الخصائص	العملية ١ شرخ المرايا١×	العملية ٢ كسر المرايا٢×	العملية ٣ الانسحاب من المرايا٣°
الصياغة الدينامية	التوتر بين الأنا الأعلى٠١ أو الوظيفة المستنفذة للأنا الأعلى	إبطال مثالية الأنا وتشوش الهوية بين الأنا والآخر، متعة الآخر فى المقدمة	الإقلاع عن مقارنة الأنا بالأنا المثالية والتدهور
أنماط التحكم المرتبطة بها	صعوبات فى رسم الحدود بين الأنا والآخر ولوم الذات	الشعور بأن الآخر يُدمر شيئاً ما أو مهدد	الانسحاب من التفاعل والصراع، الثنائية الوحدانية وفقر الحديث

- ويعنى شرخ المرايا أن الذات تحصل على مشاعر الوحدة من خلال مثالية الأنا ومن ثم فإن مطلب مثالية الأنا يواجه الذات بالنقص الأساس فى الهوية.
- أما كسر المرايا لأنه فى النموذج اللاكانى عندما تتوجه مثالية الأنا نحو المرايا تظهر صورة الأنا المثالية التى تتضمن مشاعر التأكيدية، فعند فقد مثالية الأنا لوظيفتها تكسر المرايا والصور التى بُنيت فى المرايا (الأنا المثالية)، ويقوض فقد هذا العامل التوحدات الرمزية والمتخيلة، لتكون النتيجة هى التشوش فى مستويين: الآخر المدمر والآخر المهدد.
- ويعنى الانسحاب من المرايا بمصطلحات الإسكيما اللاكانية الانسحاب من رؤية الأنا Mirroring ego على السطح المرآوى نتيجة لأن مكونات الأنا المثالية تفشل فى أن تتحول إلى أشياء مادية وبالتالى تتدهور الوحدات المتخيلة، وتميل الذات إلى إنهاء موقف الفراغ ويكون لهذا الاختيار نتيجة مزدوجة:

١. تتدهور وظائف الأنا نتيجة المواجهة مع الصراعات الداخلية للفرد.

٢. مشاعر الثنائية الوحدانية. (Stijn Vanheule and Verhaeghe Paul، 2005، pp. 285 – 305)

ويرجع اختيار هذا النموذج فى هذه الدراسة إلى:

أولاً: الجذور التحليلية النفسية لهذا النموذج، فهو يركز على عمل الوظيفة الذاتية، وبالتالى فهو يوضح لنا موضعة Position الذات التى يكررها الفرد فى علاقته بالآخرين، والتى تؤدى إلى المشكلات المرضية.

ثانياً: لم ينل هذا النموذج أي اهتمام من الدراسات العربية.

ثالثاً: يُعد هذا النموذج بناءً متكاملاً تعتمد فيه البيانات التى يتم الحصول عليها من الدراسة الإكلينكية لحالات الدراسة والمفاهيم الدينامية النظرية بعضها على بعض، وبالتالى تمدنا بأطر تفسيرية متسقة للظاهرة موضوع الدراسة.

٢- اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص H.T. P تأليف جون. ن. باك، وقد قام مليكة بتقنين الاختبار فى البيئة المصرية، وقد اعتمدت الدراسة على التفسير الكيفى للاختبار. (مليكه، لويس،٢٠٠٠)

٣- اختبار تفهم الموضوع T.A.T تأليف مورجان Morgan وموري Murray وهو وسيلة لفحص ديناميات الشخصية، وقد قام مليكة بتقنين الاختبار فى البيئة المصرية. وقد اقتصرت الدراسة على تطبيق الصورة الأولى والصور التالية: (3، 6، 7، 8، B M) لاختبار فروض الدراسة.

الإطار النظرى للدراسة:

النموذج اللاكانى فى الذات:

لقد أشار لاكان إلى أن كل علمنا يؤسس على اختزال الذات إلى عين، وهذا ما يفسر لنا لماذا تُسقط الذات is projected أمامنا مما يجعلنا نموضعها أو نشيئها فى شئ ما. (Mil– er، Jacques–Alain، 1988، p.80) ومن ثم فقد ذكر أن المرآة هى التى تحمل وظيفتنا العقلية، وهى تشبه الجهاز الفوتوغرافى، ولذا تكون كل الموضوعات (الصور) بصرية.

والصورة البصرية تمتلك تنوعاً معيناً – بعض منها ذاتى تماماً، وهذا ما نسميه افتراضاً Virtual بينما الآخر حقيقى، ويمكننا عمل صور ضمنية لهذه الموضوعات التي هى حقيقية. ولقد طور لاكان هذه الفكرة فى نموذجه الذى صاغه عام (١٩٥٠ وفى بداية ١٩٦٠) فيما أسماه "إسكيما المرآتان" Schema of two mirros. ويوضح الشكل التالي إسكيما المرايا:

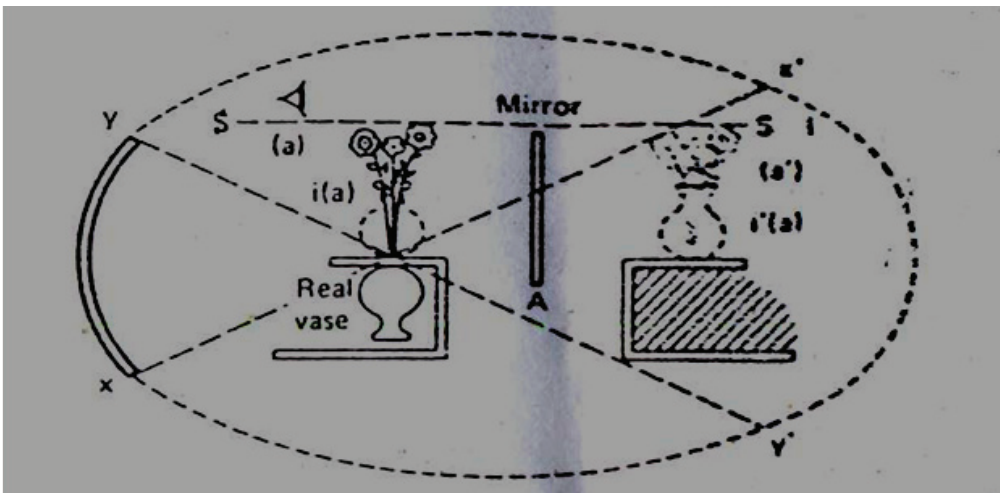

وهى فكرة منبثقة من تجربة العالم الفيزيائى بواسيه Henri Bouasse (١٩٤٧) عن المرايا المقعرة وقد استخدمها لاكان بشكل مجازى لكي يوضح العديد من مفاهيمه الجوهرية فيما يتعلق بعلاقة الذات بهويتها، وفى تطويره للإسكيما المجازية أضاف لاكان عوامل جديدة إلى نموذج بواسيه، وذلك بأن غير الأماكن بين الفازة والزهور، فأضاف المرايا المسطحة (A) فى وسط الاسكيما وهى ترمز إلى الآخر، فعند الصورة المنتجة من المرايا المقعرة يحدث الإسقاط فى الحال – فى العين – مما يُمكن من رؤية الصورة المفترضة وهى تلتقط is depicted فى المرايا المسطحة فى الجانب الأيمن من الإسكيما. كما أنه قدم الأنا الملاحظة observing ago أي العين (eye) فى مكان الذات

المنشطرة ($)، فالعين يمكن أن ترى صورة الفازة المملوءة بالزهور كما هى بالضبط (S.I) فى المرايا المسطحة. ويشير الجانب الأيمن من الإسكيما إلى مجال الهوية كما يُرى من خلال الأنا عن طريق الآخر (A)، أنه مجال الأنا المثالية، ومثالية الأنا الذى يُرمز لهم بـ i (a)، أما فى الجانب الأيسر من الإسكيما فتوضع المفاهيم التى تعكس لا تكامل الذات أو الوجود المنشطر: الزهور (a)، وهى تمثل الدوافع الجزئية فى علاقتها بموضوعاتها، والفازة المخبأة التى تمثل الجسم، والذات المُخططة ($) وترمز إلى الذات المتكلمة بنقصها، والتى يصعب التعرف عليها، وهى تشير إلى الهوية المنشطرة وبشكل مختصر، توضح الإسكيما تكامل الدوافع الجزئية – والزهور المتفرقة – عن طريق الصورة الجسمية (النرجسية الأولية)، وكيف تحاول الذات أن تتغلب على نقصها (النرجسية الثانوية) بأن ترى نفسها فى مرايا الآخر؟. (Laromre Charles، 1981، pp. 133 – 134)

ومن ثم، فإن الصورة الحقيقية الناتجة عن المرايا المقعرة تُنتج داخل الذات على نقطة يمكن أن نسميها (O) أو الأنا المثالية، وهى المتخيل الأساس أو الأصل المرآوى للأنا. وعبر المرايا المسطحة يمكن رؤية الصورة المفترضة كصورة للصورة الحقيقية، بمعنى أن الصورة الافتراضية التى تنتج من وضع مرآة ثانية توضع فى مواجهة (أمام) الصورة الحقيقية "تُمكن المشاهد من رؤية الصورة الافتراضية دون أن يكون قادراً على رؤية الصورة الحقيقية التى هى انعكاسها، وتمثل الصورة الافتراضية بذلك مكان النرجسية الثانوية، التى تمكن الذات من أن تضع متخيلها وعلاقتها الليبيدية فى الواقع، لكى ترى الذات وجودها منعكساً فى علاقة بآخر أي فى علاقة مع مثالية الأنا على نقطة داخل الذات يمكن تسميتها ب (Ó). (Miller Jacques–Alain، 1988، p.165)

وفى الإسكيما اللاكانية يكون التأكيد على المرايا الثانية المُدارة من الآخر الأكبر، وذلك لأن الصورة الثانية هى وظيفة للعلاقة بين تدوير المرايا ومجال الفراغ خلفها، أي التمييز بين الإسقاط / الاستدماج، الصورة المنبعثة والصورة المستقبلة المدعمة بتدخل الآخر الأكبر كمحل للحديث الذى يستثمر مثالية الأنا فى اللغة، ويؤهل الذات للتوحد المثالى مع القانون. ففى سيمناره عام (١٩٦٤) المعنون "النظرة كموضوع (a) الصغير" أشار لاكان إلى أهمية مكانة الذات فى علاقتها بالصورة، وليس الصورة التى تنقلها الذات، فالذات لم يعد يُنظر إليها فى مصطلح الانعكاس، ولكن فى مصطلح التفاضل (القطع، الوصل، التفكك) الذى صُمم لإعادة إنتاج الوهم المرآوى نفسه. (Larmore Charles، 1981، p. 152)

ولهذا، أشار لاكان إلى أن حقيقة الذات لم تعد توحدها فى – أو حتى على الأقل مع – آخر متخيل تمثل به نفسها، ولكن هى عدم توحدها فى الرمزي (الآخر الأكبر Big other) الذى يطرح الذات عن طريق تغييبها وذلك لسببين هما:

الأول: لأن الإنسان كما قال سارتر هو ما لا يكونه، كما يكون ما ليس هو He is not what he is (Jacobsen، Mikkel Broch، 1994، pp. 88 – 89).

الثانى: لأن حقيقة الرغبة إنها مغتربة ودوماً تُعيد تكامل نفسها من جديد بإعادة إسقاطها فى أنا مثالى خارجى. (Miller Jacques– Alain. 1988، p.172) وتلك هى الطريقة التى تجعل الرغبة لفظية.

وفى الحقيقة ها هو درس Kojeve المتعلق بهيجل: فاللغة باعتبارها إعلان (إيضاح – كشف) للذات التى تموضع نفسها بنفيها للواقع، تؤدى الدور الرائع فى عمل ما لا تكونه الذات، أو بمعنى آخر، تستحضر اللغة غياب الذات التى تتكلم نفسها فى اللغة بإفناء كل متضمناتها، لهذا ترجم لاكان اللغة فى لعبة حفيد فرويد اذهبى (Da) وتعالى (Fort) إلى اذهبى حيث تأتى Da that fort.

ومن هنا استمر لاكان فى تعريف الذات فى مصطلح إعادة الاستحضار مقراً بأنه ليس هناك أي تساؤل عن الاعتراف بين – الذاتى، لكن فقط خطاب الآخر الأكبر، حيث تطرح الذات نفسها فقط بدال لدال آخر دون أي قدرة على فهم نفسها كمدلول مراوغ لدلالة أبدية. ومن هنا أيضاً تظل حقيقة أن الدال لا يطرح شيئاً، لكن الذات هى التى لا تكف عن الكلام عن نفسها فى دال تُغيِّب نفسها فيه، وهذا الدال لا يكون شيئاً لكنها فقط الذات العاجزة عن ربط نفسها إلا بتغييبها فى إعادة استحضار يوضحها فى الخارج، كلا وجود لما تكونه، دائماً فى مكان آخر عن أن تكون هنا.(Jacobsen، Mikkel Broch، 1994، pp. 90 – 91)

وبدءاً من عام (١٩٦٠) أعطى لاكان لموضوع التخييلات (a) وظيفة إعلان (إظهار) ذات الرغبة كما لو كانت غير مُشبعة تماماً مع هذا الحل اللغوي الأول، فالموضوع (a) كما قال لاكان هو: ليس مجرد موضوع متخيل أو دعم (سند) لتوحدات مرآوية بسيطة، لكنه تخيل لاختفاء غير مُدرك للذات فى دال تحقق نفسها فيه فقط إلى حد اعتباره عضواً orgasm من الجسم أو قطعة من الجسم فصلها الجسد عن نفسه لكى يؤسس نفسه فى وحدة مع الثدي، والبراز، والفالوس، والصوت أو الحملقة. وبالتالى فإن الموضوع المفقود لا يدخل الصورة المرآوية إلا كجزء ناقص، شائبة مختلفة عن النسيج، كما يكون موضوعه هو: الاضطراب، والصورة الملغزة، ... التى تحقق بها الذات نفسها دون أن تكون قادرة على إدراك نفسها داخله، فالذات ترى نفسها دون أن ترى نفسها داخله. (Ibid، p.92)

ولقد أوضح لاكان هذا البناء برجوعه إلى تحليل سارتى الشهير عن ظاهرة الحملقة، فأنا لاأرى نفسى – الحملقة – كما لو كنت لا أستطيع أن أرى نفسى أي كلا – موضوع. وهذه هى ذات الرغبة، ومن ثم تمتلك نُظارية Scopic الموضوع (a) إمكانية عمل إظهار

الذات فى المكان المتخيل، وبخاصة ما يهرب من كل توحد مرآوى لموضعته هناك فى هذه الصورة اللا مرآوية – أعنى الحملقة – حيث تُحملق فىّ قبل أن أرى ذلك. وحيث أحقق نفسى فى لا هويتىnon – identity. فى هذه المسافة الدائمة من نفسى. ومن هنا كان المكان الآخر Alibi أي مرآوى، تأملى، تنويم استحضارى أي التنويم الذى يحتفظ بمسافة حتى لا يصبح مشعوراً به، أو إنه التنويم الشعورى الذى يوضع فى مشهد كى يعرض لليل وكوابيسه one A' own night.

أنه تنويم آخر تماماً حيث يختطفنا قبل أي شعور، وحيث لا شىء يُرى ولا شىء يُعرف، أنه هنا وليس فى مكان آخر: فى هذا المشهد الآخر للا شعور الذى يسكن مشهد الشعور قبل حتى أن يعى به الشعور. (Ibid، p.94)

نتائج الدراسة:

أولاً ـ التغيير فى الصياغة السيكوباثولوجية للإدمان:

الإدمان كعرض جديد:

لقد ميز لاكان بين الذات والأنا واعتبر أن الأنا هى شىء تستحضره الذات مع وإلى الآخر، فهى الارتباطات الزائفة مع العالم الداخلى والخارجى للذات، وهى تخبئ الحقيقة عن الذات، وبسبب ارتباطها بالحقيقة يمكن اعتبارها عرضاً، فلدى لاكان إذا ما كان هناك شىء يمكن أن نعتبره على الإطلاق مريضاً فى علاقته بالذات فإنه الأنا، وذلك لأن الأنا مُدونة فى المتخيل، وهى صورة، وبالتالى فهى ليست أكثر من ظاهرة تخيل. (Miller، Jacques– Alain، 1988، p.138)

ولأن الأنا هى صورة أو بالتحديد صورة للجسم، ففى سيمناره (١، ١٩٦٤) أعطى لاكان اهتماماً كبيراً لفكرة الواقع، وبخاصة واقع الدوافع، وأشار إلى أن واقع الجسم× هو الفاعلية التى تقع على أساس تثبيت الدوافع التى تسبق الكبت، وفى تطويره لفكرة واقع الجسم (Declaercq Fredric، 2004، p.251) أشار لاكان إلى أن الجسم هو الفاعلية المتعلقة بالمتعة، فالذات ليست لديها كثير لتفعله مع المتعة، إنها مجرد تجويف لمجرى صغير وسط غابة موحشة من الدوافع، ومن هنا أكد لاكان على فكرة القطع بين الذات ومتعتها. وأشار إلى ذلك بفكرة التباعد الجسمى ex– timacy of body حيث يُخبر واقع الدوافع كشىء غريب عن الذات (Ibid، p.p. 238–239) من هنا يؤسس المفهوم اللاكانى عن الذات والجسم للمادة الإكلينكية بطريقة جديدة وذلك لما يأتى:

١. أصبح لواقع الجسم فاعلية اختيار الدوال نفسها، التى تُبنى عليها الأعصبة، فهو يربط بين علة (سبب) وعلاج الأمراض معاً.

٢. أصبحت المتعة هى حجر الأساس فى العمليات السيكوباثولوجية، وذلك لأنها سبب تكرار العرض (Ibid، p.249).

٣. تتوسط علاقة الذات بالمتعة بالتخييل الأولي الذى أسماه لاكان الموضوع (a) ويعدّ هذا التخييل هو المُنظم والمنتج لأى شيء متعلق بالمتعة، فالعرض لا يهبط فقط إلى الدال ولكن أيضاً إلى طريقة المتعة ومن ثم تكشف التخييلات عن المتعة المؤدية للعرض، كما تشير جميع الأعراض إلى دفاع الذات ضد المتعة النابعة من جسمها وهذا الدفاع هو ما يؤسس للانحراف، العصاب، ... ومن هنا يتحدد بُعدا العرض الجديد فى:

أ) المتعة:

إن طريقة الذات فى المتعة هى العرض، أي هى سبب إجبار التكرار الذى يمنع نفسه من إعلاء محتمل، فالمتعة تلغي البعد المواجه للآخر (O) حيث يصبح موضوع الحب هو موضوع المتعة، وذلك لأنه عندما حدد لاكان مفهومه عن المتعة ذكر إشباع تدمير الذات، والإيذاء، والدافع الليبيدى الذى لا يُقاوم تجاه شيء يسبب معاناة للذات، كما أنه يمنحها اللذة، ومن ثم لم تعد التوجهات الإكلينكية للعرض الجديد تركز بشكل أساس على الحب وديالكتيك الرغبة، ولكن على الكراهية Anti– love وذاتوية المتعة Autism of enjoyment. كما تُعد دوافع تدمير الذات عند لاكان أو دوافع الموت عند فرويد بمثابة مشكلات فى التعامل مع المتعة أو مجرد جموح (تمرد) فى بُعد الكلمة، وبذلك يطرح العرض الجديد نفسه كقناع يُطالب بهوية فهو مجرد غائب مُخبأ هناك ليُغيب أي دخول فعلي فى مجال الآخر (Terminio Nicolo، p.9).

وبذلك أيضاً يتعلق الأساس الذهانى Psychotic Base للخبرة الإكلينكية المعاصرة بهذا الضعف المُتعلق بالمتعة (مخرجات تبدد وظيفة اسم الأب) [٢] مع إعادة ظهور الأعراض الجسمية للذات (إدمان، فقدان شهية، ...) فالإدمان هو ملجأ وملاذ لأى موضوع يسمح بالمتعة، دون حضور ذوات أخرى وفى هذا تحول من ديالكتيك الرغبة إلى عدمية الآخر.

ب) الدال:

إن الأعراض المعاصرة يُشار إليها بالتطرف الليبيدى الذى ينبذ وظيفة الكلمة. فلم يعد العرض الجديد هو مجاز لمعنى مكبوت أو لذات اللا شعور، ولكنه مجرد منطقة متعة يُعاد تجديدها وحمايتها، فهو أكثر من كونه عدم استحضار إذ يمثل الحركة تجاه الفعل مروراً بالرمز كوسيط ليوضح لنا متعة الموت دون سبب منطقي مع الآخر. فالعرض هو مجرد علامة،

٢ * الأب هو دافع drive وهو أحد المفاهيم التى تقع فى الحدود بين العقل والجسم وهو يكف جوهر الإشباع الليبيدى لأنه متضمن فى السببية المنطقية الذات/ الآخر.

ولا يكشف عن أي نوع من المعانى المكبوتة، لأنه فقط مؤشر ظاهرى لهوية جامدة فى تماس مع عبارة كاملة holophrastic. وقد استعار لاكان مفهوم العبارة الكاملة من اللغويات حيث تكافأ الكلمة ذات الدلالة بجملة كاملة. أو ما أسماه لاكان بجمود زوجي الدلالة (S1، S2) بما هو انحراف فى العبارة الكاملة Holophrastic inclination للخطاب الذى يؤدى إلى تجمد للديالكتيك بين الذات والآخر الأكبر، وبذلك لا يصبح العرض مجازاً لحقيقة مكبوتة، لكنه كفيل أو ضامن للأنا التى تعمل دون الآخر الأكبر (Ibid، pp. 10–11).

وإذا كان اسم الأب هو المنظم لكل الدوال، فإن الإدمان يشير إلى فشل الطرق التى تُبقى على الروابط القابلة للنمو بين اللذة والدال، فالإدمان نوع من الكناية اللارمزية Non– symbolic metonymy التى بشغلها حيز فى الذات تؤكد الأمل فى أية جذور رمزية للذات (Rik losse، 2002) وفى سيمناره III، طرح لاكان مجاز الذات والكرسى – Su ject & Stool لتوضيح ذلك فذكر: أن ما يعطي الثبات للكرسي هو نقطة الدعم الخارجة عن القائمين (التى هى السند أو الدعم المتخيل): القائم الثالث الذى يؤكد أو يؤمن ثبات القائمين الآخرين، فنحن نعرف أنه لا يوجد كرسي بقائمين، لأنهما لا يسمحا بنظام تقسيم (توزيع) الوزن، وكذلك لا يوجد كرسي بأربع قوائم، ومن ثم لايكون هناك تساؤل عن ققص القائم الرابع ،وفى الذهان فقط نفترض غياب القائم الثالث أي القائم الرمزي. (– L can، Jacques، 1993، P. 203) وفى ذلك أشار ميللر فى طريقتة الحسابية عن الذهان اللامستثار un–triggered psychosis أن الكرسى الذى ينقصة القائم الرمزى قد يجد توازنه فيما أشار إليه لاكان بالوظيفة التعويضية ، إذ يعمل التعويض المتخيل والإبدال معاً كصيغ خاصة فى لُحمة Soldering الحفرة الذهانية، فتعمل التوحدات التعويضية على حماية الذات من استحالة الاستجابة عن طريق تعدد الأشخاص (او الموجودات) المتخيلة، والتى تتكشف بعد ذلك باعتبارها خاوية من أي اتساق رمزى. أما البديل فهو المقاوم والمانع لاستثارة الذهان، وهو إشارة لعمل دلالة اللذة على الرغم من كل حل يحدث دون الرجوع إلى الحل الاوديبى المعيارى. وبذلك يشير لاكان إلى أنه فى إكلينيكية الاعراض الجديدة –الإدمان– تحتفظ الذات بنفسها على حافة الذهان دون الوقوع الفعلى فيه.

ثانياً ـ البنية الإكلينكية للذات المدمنة:

أ– ما هى البنية المخبأة وراء الظاهرة: ما الذى على الإكلينكى أن يسأله فى التعامل مع الإدمان؟

لقد أشار لاكان إلى أن كل تساؤل عن الإكلينكية هو التساؤل العيانى المنبعث من وظيفة المتخيل وبخاصة فى العلاقة مع استثماراته الليبيدية (–Miller Jacques

Alain، 1988، p.126). وفى علاقة المتخيل والواقع، وفى التأسيس للعالم يعتمد كل شيء على مكانة (موضع) الذات، وموضعة الذات تتحدد أساساً بمكانها فى العالم الرمزى (Ibid، p.80). إنها مكانة الذات subject position المكفولة فى الممارسات الإكلينكية المعاصرة للغياب النبذي لاسم الأب، « فنحن دائماً ذوات sub–jected لنظام رمزي سابق ومستقل (Oenon، Gijs van، 2001، pp. 221–244)، ويحدد النظام بشكل كبير الأدوار الثقافية التمثيلية cultured Repertoure المتاحة لتطور هويتنا. ففى الخبرة الإنسانية المُعاشة توجد عُقد تُبنى بين الذات والتاريخ، عُقد مع الوظيفة الرمزية سماها لاكان اسم الأب وهو العامل النفسى الذى يسمح للذات لأن تصل إلى الوظيفة الرمزية (دال الخبرة) (Ibid، p.141).

"فالأب يصبح اسم فى كل خطوة نحو تجسيدة/ اظهاره: فوجوده هو آدائي محض، لأن قدره هو التحول داخل كلمة مُعلنة ليفتح للذات إمكانية المسافة الانعكاسية Reflect distance التى تعنى:

أولاً ـ التحالف الرمزى حيث تكشف الذات عن جوهر وجودها فى شكل رمزى تعتمد عليه فى تدعيم حياتها الأبدية مع شيء (من أجل شيء) تكون الذات مستعدة لأن تضحى من أجله بكل شيء أي باختصار، تغترب فيه الذات فى حضور الرمزى.

ثانياً ـ كسر الكلمة Break the word أي نبذ التحالف الرمزى الذى يُعرف جوهر وجودها، ومن ثم نجد أنفسنا هناك حيث جهنم، الفراغ، ... وتلك هى ذاتية العصر الحديث (Zizek Slovoj، 1992، p.167).

»مما يعنى أنه فى كسب المسافة من النظام الرمزى (المسافة الانعكاسية) يكون سواء الذات بما هى: اغتراب للدال وإشارة إلى الانفصال أو الخصاء [٣] أي عمل الاستخصار« (Ibid، p.171).

وفى سيمناره (X1) أشار لاكان إلى أن اغتراب الدال (فى حضور الرمزى) يكون من أجل التضحية بكل المحتوى الباثولوجى، وفى التضحية بهذا الحضور الباثولوجى نفسه إشارة الانفصال (Ibid p.168). "من هنا كان للنبذ بنية الانعكاس الذاتى – Self– r flected فالخصاء بما هو – رمزى – فعل لتبادل موضوع بآخر – فى تبادل in ex– change مع الموضوع المفقود – يُسبب الرغبة وتصبح الذات نفسها موضوعاً، وذلك لأنها تستبدل وجودها (أى موضوع) بمكان فى التبادلية الرمزية من أجل دال يمثلها.

٣ تعريف الخصاء نجده فى سيمنار لاكان عن الطرح بأنه: أن نستبدل شيئاً بشيء أو بصياغة أخرى، فى استبدال الرغبة بأخرى كما لو كنا نرسل الشخص إلى السوق حيث يصبح موضوع فى مزاد عام.

وبذلك يتشابه الخصاء والاغتراب ليس فقط بالمعنى اللاكانى للاغتراب فى نظام الدال، ولكن بالمعنى الماركسي للاغتراب المتعلق بالطبقة العاملة» (Ibid، p.170).

ممن ثم، تعد العلاقة الخارجية بين الذات وموضوع التبادل هو انعكاس لذاته – R flection into it self بالمعنى الذى نعطيه لفكرة المرجعية الذاتية Self– reference االذات تتبادل (تقايض) لكى تتكلم عن نفسها أي تتبادل/ فتتحدد – exchanged/ d nated Ibid pp. 171–172).

ويتعلق القانون بالنضج كالاستقلال والغيرية حيث تكون الذات مرغمة على مواجهة ما هو أكثر من السيد الحاد الذى يحتم لا مركزيتها عن داخلها. هذا بينما ينعكس التشابه فى سيادة اللذة: إذ يأتى كل نبذ للذة من متعة لفضلة متناقضة paradoxical surplus enjoyment أي متعة فى ألم، أي فى لا لذة displeasure أسماها لاكان بالمتعة – jo issance أي المتعة المستحيلة/ الصدمية/ المؤلم أي ما وراء مبدأ اللذة (Ibid، p.182).

ويعنى كل هذا أن الذات تُعيد طرح وجودها فى شبكة رمزية تمكنها من أن تخبر نفسها ككلية ذات معنى، كما لو كانت تُعيد موضعة نفسها داخله بمعنى أنها تكشف عن نفسها فى مكان فى الفضاء الرمزي: أي أن الذات تفترض (تطرح) نظاماً جديداً للكلية [٤] ، كما أنها تُستجوب – الذات – كفرد لا يجب عليه تشويش التوازن الطبيعى. أو بمعنى آخر، أن تحققها يحدد ما يفككها فموضع (مكان) الذات المحدد يحقق نفسه اجتماعياً فى شخص ما، ومن ثم فإن التشوش المواجه للواقع يتحول إلى حكىَ ذات معنى. وفى المقابل، لا يكون التحقق الذاتى المواجه للواقع فى عدميته «عملية بدون ذات» لكنه الذات نفسها: إنه الفراغ حيث يُعد التحقق الذاتى هو الطريق لمراوغة الفراغ الذى هو الذات، وذلك لأن التحقق الذاتى فى النهاية هو ميكانيزم دفاع ضد الذات. ومن ثم فإن إسقاط اسم الأب يترك الذات دون نقاط مرجعية رمزية. فإسقاط الوظيفة البنيوية (للأوديب) للمثالى يترك مساحة للأمر الذى يدفع تجاه مزيد من التطرف، الذى يدفع نحو المتعة. ومن هذا الممنوع المتعلق بالرغبات يوجد تحرك تجاه المتعة بطريقة أكثر صدمية ويُعبر عن بنية هذه الظاهرة بـ a < I بصياغة ميلر حيث يفقد المثالي قيمته بمقارنته بالمتعة" (Terminio Nicolo، 2004، p.7)

ثالثاً ـ البنية الإكلينكية للذات المدمنة:

إذا كان العرض هو باثولوجية القانون الذى يؤسس فى الذات فى أول مواجهة لها مع الآخر، تتحدد باثولوجية الإدمان (كعرض) فى فكرة الأسر النرجسى فى الأم أو "ما أسماه لاكان بالعبارة الكاملة Hopophrase والذى شرح به خصوصية علاقة معينة

٤ * الكلية فى الفلسفة تعنى الكل أكبر من مجموع الأجزاء المكوَن له.

بين الأمهات وأطفالهن حيث لا توجد فجوة بين دوال الآخر (other M) والذى يؤسس للاغتراب الكامل" (Verheaghe Paul، 1998، p.181).

وهذا ما أكدته نتائج الدراسة إذ اتفقت استجابات حالات الدراسة على جميع أدوات الدراسة فى فكرة عدم التفاضل بين الذات والآخر كما يأتى:

أ- **على المحور الأول** فى المقابلة المتعلق بشرخ المرايا وخبرة الشعور بأن الفرد مستنفد (أو مُلتهم) من الآخر، أي عدم القدرة على رسم الحدود بين الأنا والآخر، كانت أنماط الحكىَ المرتبطة بهذه العملية الدينامية هى:

الحالة الأولى: «دايما بَبْحَث فى العالم عن نفسى، عما يشبهنى ويتعلق بى وعايز أعرف أكتر لكن بتفشل توقعاتى».

الحالة الثانية: «أمى دايماً كانت صاحبة القرار ودايماً بتقولى أنت مبتعرفش حاجة، أنت مبتقدرش تفهم، كانت متسلطة علىّ، بتحبنى آه لكن دايماً تقولى أعمل ده هو الصح، لأنك لا تعرف الصح من الخطأ».

الحالة الثالثة: «كنت سايح فى أمى تماماً علشان كده مكنتش عايز أحس بالواقع نهائياً».

الحالة الرابعة: «أبويا خلانى مش عارف اللى أنا بعمله صح ولا خطأ بقى زي صوت جوايا عكس اللى أنا عاوزه، هو اللى كان يرى ويقرر ويكره وليس أنا، هو اللى عايش مش أنا».

وأكدت استجابات الحالات على البطاقة الأولى والبطاقة رقم (B M 6) فى اختبار (T.A.T) ذلك إذ كانت الاستجابات كما يأتى:

الحالة الأولى: نِفْسهْ يلعب بالكمان بس مبيعرفش.

الحالة الثانية: بَبَاه (أبوه) منعه من اللعب بالكمان.

الحالة الثالثة: نِفْسهْ يلعب بالكمان بس حد مانعه من اللعب.

الحالة الرابعة: أبوه مكدره فبيبصّ فى الكتاب لكن مش هيذاكر.

وأكدت نتائج اختبار H. T. P ذلك حيث أشار رسم الجيوب فى مواضع الثديين إلى حرمان فمى وعاطفى وإلى حاجة إلى الاعتمادية، كما يشير إلى توحد جنسى مع الأم كذلك رسم التناقض فى حجم القدمين إلى تناقض يتصل بالكفاح فى سبيل الاستقلال، وذلك لدى جميع حالات الدراسة فى رسم الشخص وفى رسم المنزل، يشير رسم تفاصيل المنزل إلى عدم الشعور بالأمان حيث تم رسم الموضوع على أجزاء أي رسم التفاصيل دون اعتبار للعلاقات بين بعضها وبعضاً، ويشير رسم ثقوب فى جذع الشجرة فى الحالات (١، ٣، ٤) إلى أن جزءاً من الشخصية يتعذر ضبطه، وأنه مكمن التدمير، وهو يعبر عن نزعه نكوصية

قوية إلى الاحتماء داخل رحم الأم بينما عبرت الحالة (٢) عن الحاجة إلى الحب والعطف بفروع طويلة امتدت فى ضراعه.

ويعكس كل هذا البنية الاعتمادية الشديدة والشعور بالعجز التى نجدها فى أقصى درجاتها فى الحالة الأولى حيث يستحيل الاستقلال عن الآخر، وكذلك الشعور بالعجز الناتج من هذه البنية كما فى الحالة الثانية والثالثة والحالة الرابعة.

وهذا مايتفق مع دراسة (محمد، رمضان محمد، ١٩٨٢) التى توصل فيها إلى أن علاقة الذكر–المدمن –بالأم هى علاقة اعتماد طفلي تماماً، ودراسة (عسكر ،عبد الله السيد ، ١٩٨٦) التى ترى أن المدمن فى علاقة اعتمادية طفلية نرجسية بالأم وكذلك دراسة (أبو شهبة، هناء يحيى ، ١٩٩٠) التى ترى أن وظيفة حالة التخدير تتحدد فى رد المدمن إلى المرحلة الأولى من النمو النفسى حيث لا تمايز بين الذات والموضوع. تلك العلاقة–أو البنية–التى سماها لاكان بالتعويض المتخيل Imaginary compensation والتى تتخذ مكان اسم الأب بمعنى أنها تكفل للذات بعض الثبات، وبالتالى تغلق هذه التعويضات الذهان أمام الذات وذلك لأنها تكفل الذات مع الدعم النرجسى بطريقة التوحد مع الشريك، والذى سماه ميللر بالترقيع المتخيل Imaginary prosthesis للعامل الرمزي الذى يقدم التأثير المرغوب لتثبيت موقف الذات ودعمه حيث يعمل هذا الترقيع على استثمار الذات فى أي هوية تعوض أو تستبدل الأوديب الغائب، ولا تكون نتيجة هذا التعويض بالطبع كافية لتأمين الثالوث الرمزى الناجح مادام يشير إلى غياب الأوديب الذى هو غياب المجاز الأبوى، ومن ثم تظل الذات مسجونة فى علاقة مرآوية، وبالتالى تنتقص الهوية الذاتية؛ لأنها نتاج توحدات نرجسية مع الشريك المتموضع كأنا مثالية، كما يكون الشكل الرئيس لهذه التوحدات التى تسود فى التعويضات المتخيلة لغياب الأوديب هى التوحدات الملتصقة (Recalcati، 1999).

لأنه فى حالة الأسر النرجسى (الانصهار فى الأم) يصعب على الفرد فصل نفسه عن صورته المنعكسة تماماً مثل أسر نرجسى فى بحيرة انعكاساته (Barzilai Shuli، 1991، p.106) مما يؤدى إلى نبذ الدال الأبوى الذى يفصل الطفل عن متعة الأم أو قانون الأم المعادل لرغبتها، أشارت استجابات المبحوثين إلى كراهية الأب وفقد أمثلته كما يأتى:

ب– على المحور الثانى من المقابلة والمتعلق بكسر المرايا Mirror falls down، وفقد مثالية الأنا والشعور بأن الآخر مُهدد أو مُدمر، أشارت استجابات الحالات إلى ذلك كما يأتى:

الحالة الأولى: معنديش رغبة فى أي حاجة علشان كده بقت رغبتى فى العالم ضعيفة جداً مجرد معرفة لتجنب الألم لأنى دائماً بتوقع أن أجد المثالي فى هذا العالم ولا أجده أبداً، وأنا فى ابتدائى كان أبويا طيب وأمى هى اللى شريرة، هى النكد، تضربنى وتزعق لى ولكن بابا كان بيخرجنى من النكد. فى إعدادى كانت ماما فى الشغل ومش موجودة فكان بابا هو الشرير وكان بيشيلنى الهم رغم أنه كان بيحبنى قوى لكن مكنش القيمة التى تستحق الأبوة. بعد كده بقت ماما طيبة وبدأت تتغير صحيح مبقتش كويسة لكن كفيانى شرها، ودايماً بلاقى خيانة من الأصدقاء، طعنات متتالية فى الضهر، توقعاتى فى الآخر تفشل، وبحس بإحباط وخيبة أمل كبيرة فيهم ودائماً الآخر لا يعاملنى كما أعامله.

الحالة الثانية: لغاية الجامعة وأمى تقرر لىّ كل شئ وكنت بره العيلة تماماً وبره الإطار علشان كده بدأت أعمل كل حاجة غلط وبره الإطار وبالتحديد عكس اللى أمى عايزاه، ومكنتش بصدق أبويا ولا أحسه أو أسمعه دماغى كلها كانت مع أعمامى فى المخدرات وبعدين مع أصحابى.

الحالة الثالثة: أمى كانت بتميزنى عن كل إخوتى أنا فى كفة وكلهم فى كفة ثانية أنا بحبها قوى كأنها حتة منى وكانت دائماً هى وخالاتى يلملموا ورايا المصائب اللى كنت بعملها وده خلى المتعة عندى ملهاش سقف وكمان كان خالى بياخد معايا حشيش وكانت جدتى تخلينى أعمل كل اللى نفسى فيه حتى ولو كان عكس اللى أبويا عايزه علشان كده كنت بروح عندها وأشرب سجاير وكانت عارفة أنى باخد برشام وتدينى فلوس علشان أجيب. وعلشان كده كنت بكره أبويا لأن كل حاجة ضرب وأوامر وخلاص وكان عاوزنى آكل واشرب واذاكر وخلاص وماكنش فى تفاهم بينى وبينه ومفيش حوار خالص.

الحالة الرابعة: أبويا دائماً كان العقاب الدائم دون ثواب وكانت القاعدة عنده لا يجب أن تعيش أو تفعل إلا ما أريده أنا، وبالطريقة التى أريدها أنا وأى شيء آخر يستحق العقاب حتى ولو نجحت فيه، علشان كده أبويا كان جبروت وعنيد ودايما تصرفاته غير متوقعة ومهددة بالضرب وبشكل غير متوقع وغير مناسب. أما أمى فكانت مستسلمة لرغباتها تماماً استسلاماً غريباً وغير مضبوط.

وبذلك تدعم استجابات الحالات الأربع الصياغة الدينامية لمفهوم فقد مثالية الأنا بما هى فقد الرغبة لاستثمار الطاقة فى أي شيء، وتبدل فكرة الآخر حيث تصبح العلاقة مع الآخر أو العالم مُحبطة جداً، ولا تُحتمل والتى عبرت عنها الحالة الأولى بفكرة خيانة الآخر، وتصاعدت السلبية لدى الحالات الثلاث الأخرى مما أدى إلى اضطراب فى التفاعل مع الآخر. والذى عبر عنه لاكان بفكرة لذة الآخر other jouissance حيث يبدو الآخر فى

الحالة الأولى (غريباً)، و(حاداً) فى الحالة الثانية، و(مشكوكاً فيه) فى الثالثة، و(يتصرف لصالح نفسه ويستمتع بطريقة لا حدود لها) فى الحالة الرابعة، وهذا مايتفق مع ما ذكره (Recalcati، 1999) فى أن عدم وجود المجاز الأبوى يختزل الذات إلى الموضوع الحقيقى للذة الآخر. وهذا ما أكدته استجابات الحالات على البطاقة رقم (6BM) والتى تقيس العلاقة بالأم كما يأتى:

الحالة الأولى: واحد وأم مضَّايقين من بعض، وهيبقى الخلاف إلى أن يموت أحدهما.

الحالة الثانية: ماما متسلطة ومزعلانى وأنا راكب دماغى وهعمل اللى أنا عاوزه.

الحالة الثالثة: ولد مزعل أمه ومقصر فى حقها ومش قادر يقاوح معاها.

الحالة الرابعة: داده بتقنع الأب بحاجة عايزها الولد.

واستجابات البطاقة (B M 7) والتى تقيس العلاقة بالأب كما يأتى:

الحالة الأولى: اتنين أشرار بيتفقوا على خطة شريرة، يسرقوا ويقتلوا، ... وهينجحوا.

الحالة الثانية: بصة أبويا فى حسرة وحزن وأنا مش حاسس بيه. وبعمل عكس اللى هو عاوزه.

الحالة الثالثة: بيتفرجوا على ألبوم صور مع بعض.

الحالة الرابعة: الأب مبسوط من ابنه علشان بيعمل اللى هو عاوزه.

ولأن أي قصور فى شخصية الأب تعطل قدرة الفرد على تفادى الاضطرابات النرجسية، وتحقيق الإعلاء الثقافى كما أشار لاكان (Ibid، p.22). بذلك تحددت حتمية العرض بباثولوجية قانون الأب، وذلك لأن إسقاط أو نبذ قانون الأب يسمح بالتدخل القانونى (التشريعى) لحديث الأم (Moral Genevieve). مما يؤدى إلى:

أولاً: تصبح الذات ملتصقة بمتخيلها (Brazilai Shuli، 1991، p.107). بدلاً من أن تستبدل وجودها بمكان فى التبادلية الرمزية من أجل دالّ يمثلها كما يحدث فى الخصاء الرمزى مما يجعلها محرومة (ممنوعة Barred) من الاستحضار فى الدال S1 الأوديبى للأب S١.

ثانياً: الفشل فى إعلاء دوافع الموت نتيجة لفشل الوظيفة الإصلاحية pacifying للأوديب كما أشار لاكان (Booth by Richard، 1991، p.177). ولأن الموضوع (a) يتخذ فى العمل اللاكانى مكان الواقع باعتباره نقطة تثبيت أو مركز اللهفة الذى يدعم كل هذه البنية، وباعتباره القانون الخاص بالرغبة التى تحمل مصيرها، يوظف العقار كموضوع (a) أي الشيء الحقيقى الواقعى المسبب بالمتعة فى علاقته بقانون الواقع أو الجسم حيث لا يسمح

للذات بمواجهة الآخر الأكبر، وذلك بثبيت وهم القدرة على الحصول على الموضوع المفقود للرغبة داخل الفرد مما يؤدى إلى الاقتراب المباشر لمتعة الذات التى تهدد بالتهامنا عندما يصعب الحصول على المتعة الفالوسية. وهذا ما أوضحته استجابات حالات الدراسة كما يأتى:

جـ – على المحور الثالث من المقابلة والمتعلق بالانسحاب من المرايا Withdrawal From mirroring، نتيجة المواجهة المؤلمة مع الآخرين حيث يغلق الفرد عينيه عن مشكلته وتتحاشى الأنا الصراع وتتجنب المواجهة المؤلمة مع الصراعات الداخلية والمشاعر غير المقبولة. أشارت استجابات الحالات إلى ما يأتى:

الحالة الأولى: نتيجة لأن فيه خوف وعدم ثقة فى الآخر ده يقلل الاندماج فى العالم لأنى دائماً بتوقع الأسوء وبقت القاعدة هى أنى لا أثق إن هكون محبوب ولا أن الآخر كويس. من هنا كان المخدر بيكسر الدائرة (توقع– فشل– إحباط) وتبقى المسألة فى خط مستقيم، الآخر هيشوف زى ما أنا عايز، وكل الناس تشوف زي ما أنا شايف مفيش فرق بين نظرتى لنفسي ونظرة الآخرين فىَ. المخدر بيكمل الدائرة الناقصة جُوَّايا، وبالتالى العالم يبقى نموذجي ومفيش مستحيل.

الحالة الثانية: علشان كان نفسي يبقالي دور فى الحياة وعلشان أنا بحب الناس وبلاقى نفسى معاهم، كان المخدر بيحسسني إنى أحسن واحد فى الدنيا، وكان بيعيشني اللذة اللى أنا عاوزها وعلشان أنا ساكن فى منطقة فيها جامع كبير كنت بحس أنى قاعد فوق قبة الجامع فوق كل البشر شايفهم كلهم وبسمعهم ولما أعوز أبقى فى وسطيهم بكون ولما أعوز أكون بعيد ببعد، يعنى أكوَن مع الناس وأحبهم ويحبونى ويقدرونى ويحتاجوا ابقى معاهم، حالة كده زى النوم (التسقيط) بس دارى باللي حواليا بشوف اللي أنا عاوزه وأعيش اللي أنا عاوزه حالة أشبه بحالة اللا مبالاة، تولع الدنيا لكن المهم أنا هادي ومرتاح.

الحالة الثالثة: كل شىء فى حياتي بقى نسبي يحتمل الصواب والخطأ علشان كده بقت المخدرات هى الحل ليس للهروب من الواقع أو عمل دماغ، كنت عاوز ألغي الواقع تماماً وأدخل فى دائرة الموت زى التمثال المحنط لقدماء المصريين الذى ينتظر الخلود بعد الموت، كنت عاوز استريح من الصراع والصداع والزحمة اللي من دماغي، كنت عاوز شىء أنسى به الجدل، عايز سلام وهدوء، ولأن اللي نفسي فيه هلاقيه فقط فى المخدرات وهو المُطلق دي كانت اللحظة اللي لازم أضرب فيها المخدرات توصلنى إلى الحالة الجنينية، حالة الدخول فى بطن الأم كأنى جنين بعوم فى الميه أو نايم على سطح الميه، هدوء شديد، انفصال تام عن العالم رغم وجودى ووعى بيه لحظة (التسقيط) ديه هى اللى توصلني

للإحساس ده، كان نفسى أحط البودرة (الهيروين) فى زجاجه مثل زجاجة المحاليل علشان يوصل للدم مباشرة وتبقى المسألة تلقائية وعلى مدار ٢٤ ساعة وبدون أي مجهود.

الحالة الرابعة: كنت باحس فى البيت بالغربة والفراغ وعدم الأهمية، مش لاقي حاجة ولا دور أقوم بيه ولا أعمله، مش قادر أعمل أيه حاجة ولا حتى أقوم من على السرير، حالة عجز شديد كأنى مشلول وهى ديه حدودى، مقدرتش أعمل أي حاجة سوى أن أنام فى القمقم (المخدر) وأدخل بطن أمي تانى. كانت المخدرات هى الوسيلة التى حاولت بها أوصل للإحساس ده «أني نايم فى بطن أمي ومش حاسس بأيه حاجة، ومع ذلك أنا صاحي للي حوالي كأنى نايم (التسقيط)».

و تذكرنا كل هذة الاستجابات بالمفهوم الفرويدى عن التنويم الذى ناقشه فرويد فى مقالته (العلاج النفسى ، عام ١٩٠٩) الذى أشار فيه إلى أن التنويم يميل إلى خلق نوع من الاعتمادية من المريض على الطبيب، ويصبح المريض لذلك مدمناً لهذا التنويم ،كذلك ضاهى فرويد فى المقالة نفسها بين المنوم وحالة الأم التى ترضع طفلها. هذا بينما عرَّف لاكان التنويم بأنه خلط بين الموضوع "a"، والدال المثالى وهذه هى خصوصية المتعة فى الإدمان، تلك المتعة التى تتعلق بإدارة مستقلة Independent administration لاضطراب معين فى المتعة نتيجة للبنية الاعتمادية للمدمن كما أشارت (Rik Losse، ٢٠٠٢) فيما اسمته بميكانيزم الاستقلال عن الآخر الأكبر، إذ يوظف الإدمان كمرض النفسى خارج الدال أو يحجب الدال الذى يستحضر الذات لدال آخر فى محاولة لوضع الموضوع ومثالية الأنا فى المكان نفسه. وفسرت Sylvie le Plouchet كل ذلك بقولها: إن المنوم–المخدر– يتخذ مكان تدفق لبن الأم نفسه أي يوظف كالآخر متخيلاً كاملاً Not lacking، ذلك الآخر الذى لا يسمح لنفسه بالنقصان de–completed، ومن ثم تترسخ الذات فى هذه الفجوة. كما تشير كل هذه الاستجابات إلى استخدام المخدر كبديل substitution ذلك المفهوم الذى صاغة لاكان عام ١٩٧٠ أثناء تاملّه في أعمال جويس التى تعدُّ نموذجاً غير عادي لهذا المفهوم. والبديل دائما ما يتخذ مكان شيئ آخر، ومن ثم فهو يشبة المجاز إذ إن كلاهما يتشاركان فعل البديل مع تأثيرة الذى يؤسس لسياق الدوال (Recalcali ، 1999) . ويعمل الإدمان هنا كبديل للعجز الذى يعبر عن نفسه فى العلاقة بالاستحالة impossibility، حيث يخفي الإحساس بالقدرة المطلقة الناتج مباشرة من حالة التخدير العلاقة بالاستحالة تاركاً الذات فى وهم إمكانية اكتمال هرمونية العلاقة بين هذا البديل أو الوكيل agent والآخر، وبذلك تعدّ هذه الخطوة بمثابة حماية دينامية دفاعية للتفكك بين العجز والاستحالة، فعن طريق تخدير الجسم يتدخل المخدر مباشرة، ويؤسس للتواصل التام مع الآخر ويحول أو يفصل علاقة الاستحالة عن العجز، فكما

أشارت الحالة الأولى "يكسر – المخدر– حاله التوقع– الفشل– الإحباط وبشوف الناس زى ما أنا عاوز" أو الحالة الثانية "احب الناس ويحبونى" هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعمل المخدر على التماس الآخر بما هو "المطلق" الذى تبحث عنه الحالة الثالثة أو "القمقم" الذى يخفي حالة العجز فى الحالة الرابعة، وبما هو دال يستحضر الذات، وبما هو أيضاً عرضٌ عصابيٌ كما أشار (Rik Losse، 2002).

ويتفق كل هذا مع ما ذكره (Recalcati، 1999) فى أن الميول الذهانية فى الإدمان تشير إلى وجود الذات فى تضاد ومعارضة لوجود الأخر، تلك التى صاغها لاكان فى سيمناره III حول الذات الذهانية التى تتسم باستبعاد الآخر، والتى عرفها ميللر بأنها تربط اللذة بشريك غير إنساني، وذلك لأنها تكون مظلمة darkened بالكراهية –anti love الأولية، ومن ثم فإن عمل المخدرات توقف عمل الذات وذلك بإحالة precluding أو منعه الأخر، فعندما يكون الشخص فى حالة تخدير، فإنه يكون فى حالة كراهية وذلك لأن الحب يتضمن عكس منطق المخدر، وهو استحالة عمل الذات أي منع نقص الآخر.

وتشير كل هذه التخييلات الأولية [٥] للتوحد المتخيل بالمخدر، وذلك لأن الشيء المهم فى التوحد المتخيل هو أن تتخيل الذات أنها يمكنها إدراك هذا تماماً كما مات نرجس فى بحيرة انعكاساته عاجزاً عن الحركة، ويعنى التوحد هنا ألا يوضع فى حركة بحيث يظل جامداً حتى الموت (Borowski Allis Larissa، 2009، p.1) وهذا هو تفسير المتعة التى يجدها المدمن فيما أطلق عليه مصطلح التسقيط.

وهذا ما أكدته استجابات الحالات على البطاقات رقم (3BM، 8BM) التى تقيس العدوان وتطوره، حيث كانت الاستجابات كما يأتى:

الحالة الأولى: واحدة قطعت شرايين إيديها بآلة حادة/ واحد ضرب الراجل بالبندقية علشان يعمل حاجة نفسه فيها.

الحالة الثانية: حد بيعيط مش لاقى حد جانبه وهيحاول يطلع نفسه لمساعدة حد/ ناس قاعدة تتكلم علىَ وأنا هعمل زيهم.

الحالة الثالثة: بنت: أبوها زعق لها ومنعها من اللعب، وهتعيط لما تتفحم/ مصاب بيحاولوا ينقذوه.

٥ * التخييل الأولى يقع بين المتخيل والرمزى وهو موضوع المتعة.

الحالة الرابعة: واحد بيفكر فى الانتحار/ أبو الولد مضروب والولد مش مستوعب الموقف إذا كان أبوه نايم ولا هيموت ولا إيه.

وأكدت استجابات اختبار (H. T. P) وجود العدوان إذ أشارت إلى أن رسم جميع الحالات للفم فى صورة خط مفرد يشير إلى الحاجة الفمية الشبقية والاعتمادية والعدوان اللفظي، كما فى رسم الحالة (١) للمنزل فى خط أفقى ورسم المنزل صغير الحجم فى الحالة (٣)، بما يشير إلى الاعتقاد بأن البيئة معادية. كما يشير إبراز الزوايا والكهوف فى السقف فى رسم الحالة (٢) إلى اتجاه دفاعى متشكك، ويشير رسم الشعر المظلل تظليلاً ثقيلاً كما فى الحالة (١) ورسم الحالة (٣،٤) للشخص فى ربع النكوص من صفحة الرسم إلى القلق والنكوص والابتعاد عن الخبرات الجديدة والرغبة فى العودة إلى الماضي.

من هنا نستطيع القول إن الإدمان يمدنا بمتعة الجسم السامة التى تغمر الذات عندما لا يُرمز شيء ما متعلق بالجسم نتيجة لرفض الخصاء – البنية الاعتمادية والشعور بالعجز – والتى تتعلق بإدارة مستقلة فى مجال المتعة، وذلك بمحاولتها تأسيس التواصل التام بين الوكيل (الوسيط) والآخر عن طريق التخدير فى الجسم. وبذلك يحقق الإدمان كعرض المتعة فى الألم التى تتخذ معناها الرمزي فقط فى فكرة الفراغ Void كنواة غير مرمزة باستخدامه لميكانيزم الاستقلال عن الآخر الأكبر، الذى يشير إلى اقتحام الرباط الاجتماعى، وفصل الذات عن الآخر الأكبر بما يتيح الاقتراب المباشر لمتعة الذات وبذلك يزيد من انشطار الذات ليقدم لنا الهوية المفككة، إذ يصل بمتعاطيه إلى مرحلة ما قبل المرايا تماماً كما يُنوم الطفل mesmerized [٦] عن طريق إيماجو المخدر الذى يتموضع فى نفس مكان المثالية المتخيلة للفرد عن نفسه ككل وكامل على مستوى الذاتية (Borowski Allis Larissa، 2009، p.13) . وبذلك تكشف إكلينيكية ما نسميه بالأعراض الجديدة عن تنظيمات جديدة للذة.

٦ * الوحدة التنويمية مع الأم المتخيلة فى عالم الشيء das ding أو الرحم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً ـ المراجع العربية:

١. أبو شهبة، هناء إبراهيم يحيى (١٩٩٠)،دراسة كلينيكية متعمقة، دراسة حالة مدمن هيروين، مجلة علم النفس، العدد السادس عشر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة

٢. عسكر، عبد الله السيد ، (١٩٨٦) ،تعاطى الأقراص المخدرة وعقاقير الهلوسة لدى الشباب المتعلم. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب جامعة الزقازيق

٣. مليكة، لويس كامل (٢٠٠٠)، دراسة الشخصية عن طريق الرسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة.

٤. محمد، رمضان محمد، (١٩٨٢) ، دراسة سيكولوجية المتعاطى للمخدرات (الحشيش)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الأداب ، جامعة عين شمس

ثانياً ـ المراجع الأجنبية:

1. *Barzilai shuli (1991), "lacan and matter of origins", Stanford university press.*
2. *Booth by Richard (1991), "Death and desire: psychoanalytic theory in lacan's return to Frued", Routledge, new York and London.*
3. *Borowski, Allis larissa (2009), "Sarter's secret face" as factical image: a lacanian- Existialist conception of death drive desire", a thesis submitted in partial Fulfillment of the requirements for the degree of master of Atrs at George Mason university.*
4. *Declercq Frederic (2004), "Lacan's concept of the real of jouissance: clinical illustrations and implications". Psychoanalysis, culture and society, No. 9. palgrave Itd. www.palgrave-journals.com/pcs.*
5. *Jacobsen, Mikkel Broch (1994)," the Alibis of the subject: lacan and philosophy", in: "speculation after Freud: psychoanalysis, philosopy and culture", edited by Sonu shamdasani and Micheal Munchow, Routledge, London and New York.*
6. *Lacan, Jacques (1993), "The Seminar of Jacques Lacan: Book III, The Psychosis, 1955- 1956", New York: norton*

7. *Laromre Charles (1981), "The concept of a constitutive subject", in: the talking cure: essays in psychoanalysis and language", edited by Colin Maccale, the Macmillan press.*
8. *Recalcati, Massimo (1999), "The Empty Subject: Un- Triggered Psychoses in the new Form of Symptom: 1999". Translated by: Jorge Jauregui, Lacanian Ink no. 26, Fall 2005, at www.lacan.com*
9. *Rik Loose (2000), "Addicted subject caught between the ego and drive: the post- Freudian reduction and simplification of a complex clinical problem", psychoanalytische perspectieven , nr, 41- 42.*
10. *Rik Loose (2002), "Toxicomania And Psychoanalytic Treatment: Double Trouble". www. Jcfar.org*
11. *Miller, Jacques- Alain (1988), "Ego- ideal and ideal ago", In: The seminar of Jacque Lacan, Book 1, Freud's papers on technique 1953- 1954, Translated with notes by, John Forrester, Cambridge university press.*
12. *Miller, Jacques- Alain (1988), "The see- saw of desire", In: The seminar of Jacque Lacan, Book 1, Freud's papers on technique 1953- 1954, Translated with notes by, John Forrester, Cambridge university press.*
13. *Miller, Jacques- Alain (1988), "The topic of imaginary", In: The seminar of Jacques Lacan", Book 1, Freud's papers on technique 1953- 1954, Translated with notes by, John Forrester, Cambridge university press.*
14. *Miller, Jacques- Alain (1988), "The two narcissisms", In: The seminar of Jacque Lacan, Book 1, Freud's papers on technique 1953- 1954, Translated with notes by, John Forrester, Cambridge university press.*
15. *Moral Genevieve, "fundamental phantasy and the symptom as a pathology of the law", the centre for Freudian analysis and research web journal. http://www. Cfar.org.uk*
16. *Oenen, gijs van (2001), "fabrications of self: identity formation in the odyssey", cultural values", Vol, 5. No. 2. (221- 244).*
17. *Rowan Alan (2000), "the place of acting out in psychoanalysis from Freud to lacan", psyhoanalytische perspectieven, nr, 41/42. C.www. psychoanalylischeperspectieven-be.*

18. *Stijn vanheule and verhaeghe paul (2005), "Professional Burnout in the mirror", psychoanalytic psychology, vol. 22, No. 2.(285-305)*
19. *Terminio nicolo (2004), "the homogenous group in the clinical practice of new symptoms, some notes on lacanian poychoanalytic perspective", funzione Gamma, scientific on line magazine university "sapienza" of Rome, registered with the court Rome civil (n. 426 of 28/10/2004), www. funzionegamma.edu.*
20. *Verheaghe paul (1998), "Causation and destitution of pre- ontological non- entity: on the lacanian subject", in: key concepts of lacanian psychoanalysis, London, rebus press, (New York: state university of new York press). Pp. (164-189).*
21. *Zizek Slovoj (1992), "Enjoy your symptom! : Jacques Lacan in Hollywood and out", Roultedge, New York and London.*